

ميلاد النبي ميلاد أمة (1)



في ذكرى ميلاد النبي - صلى الله عليه وسلم - لا بد للمسلم الحق والداعي إليه من وقفة صادقة يرنو فيها ببصره ويتطلع بقلبه وفؤاده إلى منبع الأسوة الحسنة وموطن القدوة الطيبة، سيد الخلق وحيب الحق محمد - صلى الله عليه وسلم -، ليتأسى بمنهجه في التغيير ويقتدي بطريقته في الإصلاح، فإن الزمان قد استدار كهيمته يوم ولد وبعث المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، وإن الأوضاع الفاسدة والأعراف الباطلة التي واجهها لا تختلف كثيرا عن الأعراف والقيم التي تعيشها البشرية في الفترة الراهنة، غابة الأمر أن الجاهلية الحديثة قد أخذت شكلاً مغايراً حينما تسربت بسربال التقدم العلمي وتزينت بزخارف المدنية الحديثة.

التغيير سنة كونية

إن التغيير سنة حتمية من سنن الحياة، وواقع يجب أن نعيشه ونتقبله، بل ونسعى إليه في مختلف مجالات الحياة، ونعمل على الاستفادة منه في الانتقال من الواقع الحالي إلى مستقبل أكثر إشراقاً وتميزاً، وقد خلق الله تعالى الكون وجعل التغيير واحداً من القوانين التي تحكمه، و﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران 140)، فهذه السنة ثابتة لا تتخلف أبداً، فالله يرفع أقواماً ويضع آخرين، ويغني قوماً، ويفقر آخرين، ويقوي أناساً، ويضعف آخرين، وهكذا.. ولا بد أن نعلم أنه لا يمكن الانتقال من وضع إلى وضع إلا بسبب، وقانون الله لا يحابي أحداً، فإذا غير المجتمع حاله، غير الله حالهم، ونفذت سنته فيهم، فحدوث التغيير من الله مترتب على حدوثه من البشر، إن حسناً فحسن، وإن سوءاً فسوء، وقد ذكرت الآية تغييرين: التغيير الأول: يُحدثه الله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ (الرعد: 11). والتغيير الثاني: يحدثه الناس: ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11). وهو في الحقيقة يكون إلى الأحسن ويكون إلى الأسوأ، فالله يغير ما يقوم من الهزيمة والضعف إلى نصر وتمكين إذا غيروا ما بأنفسهم من بعد عن دينه، إلى تمسك بدينه، والعكس بالعكس، فهم الذين يختارون لأنفسهم، ويتحملون النتيجة والمسؤولية، فالنعم والنقم، والخيرات والويلات، لا تتأتى هكذا مصادفة عفوية دون سبب، وإنما هي منوطة بأسباب، وأحوال معنية.

هدي الرسول في التغيير

وقد سلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - طريق التغيير بالسنن الكونية والاجتماعية والنفسية والعقلية، واعتمد على ذلك في كثير من الأمور منها:

أولاً: استعمل كل الملكات وكل الحواس والإمكانات والأساليب في دعوة الناس ونقلهم من الظلمات إلى النور، سهر الليالي، وقطع الفيافي والقفار، واستغل كل جمع وكل موسم وكل قرابة وكل صلة وكل موقف، ولم ينتصر بكلمة كن والله قادر على نصره بها والتمكين بها، ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرف الواقع فتعامل معه، ووعى التقاليد فوعاها، وفهم العقول فأرشدها وحاجها، وقدّر المصاعب، وعرف العقبات، وأعدّ العدة، ولم يترك

شرعية محددة تنفيذ في بناء الأمة الإسلامية .

وأخيراً فقه الواقع وهو يعني دراسة المتغيرات الموجودة في الواقع، وتحديد طرق التعامل مع كل أزمة حسب حجمها، وحسب الظروف التي تصاحب كل أزمة، ومن ثم يضع المسلم الحل المناسب في ضوء الشرع ومن ذلك الواقع سواء الصلح بين الأوس والخزرج أو استيعاب المهاجرين في المجتمع المدني، بل تفعيلهم في بناء الأمة، فتحولوا إلى قوة فاعلة تضيف إلى خير المدينة وقوتها. واستقدام بعض المسلمين من الحبشة والإبقاء على البعض لحين استقرار الأوضاع. وبعض المسلمين في القبائل البعيدة عن المدينة، لينشروا الإسلام فيها، ولكي يوسعوا نطاق الحركة الدعوية في الجزيرة العربية. ومع المستضعفين من المسلمين في مكة الذين لا يستطيعون الهجرة عليهم كتمان الإسلام قدر المستطاع وتجنب الصراع مع المشركين؛ لكي لا يستأصلوا إلى أن يأتي الله عز وجل بأمره. ومع المشركين في المدينة أو المنافقين الدعوة بالتي هي أحسن، ومحاولة ضم العناصر الطيبة منهم إلى الأمة الإسلامية، وتجنب الصراع أو الصدام معهم، حتى لا يدخل في صراعات داخلية تضعف من بنیان الأمة الإسلامية الناشئة.

ومع المشركين من الأعراب حول المدينة حاول - صلى الله عليه وسلم - أن يصل بالدعوة إليهم قدر ما يستطيع، ثم أظهر لهم القوة حتى لا يفكروا في الإغارة على المدينة المنورة، أو على قوافل المسلمين حول المدينة المنورة.

ومع القبائل المشركة الكبرى حول المدينة عقد معاهدات ومحالفات تقوم في أساسها على حسن الجوار، وعدم الاعتداء، أما طائفتي مشركو مكة واليهود. فتهامل معهم حسب استراتيجيتهم التي بينها القرآن الكريم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: 82) فكان الصلح معهم تارة والحرب تارة حتى فتح الله عليه ببناء وميلاد الأمة في الجزيرة العربية.

وأخيراً يجب أن تعيش الأمة رسالتها إذا رغبت أن تحيي عزيمة مهابة الجانب، وإلا عوقبت وسلط عليها طغاتها وأهواءها وأعداءها، وهذه سنة الله في المتكبين للطريق والمتكبرين له.

فلنتواصى بـ:

قراءة سيرة وهدى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتعليمها ونشرها لمن حولنا تعهد مجموعة من سنن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وتطبيقها والدعوة إليها ونشرها ورد ثابت يومي للصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأخذ بالأسباب في تطوير وتحسين النفس وتركيتها (إيمانياً وخلقياً ومهنياً....) ولنعمل بوصية الأستاذ "الوحدة وتحسين العمل"